

تعدد الأزمات التي وقع فيها تجنباً للاستقالة أو الدعوة لانتخابات مبكرة. هذه الأزمات المتعددة تبدأ داخلية ومرتبطة بأزمة القيادة داخل الليكود بالتركيز على عدم استفار غريمه اللدود تنتياهو بسرعة تجنباً لعدم استثمار الأخير لنتائج التصويت، وبالتالي إضاعة الفرصة على نتنياهو للاستفادة منها في تهديد قيادة شارون لحزب الليكود. أما الأزمة الثانية فمرتبطة بالحفاظ على الائتلاف الحاكم وتجنب خروج حزب شيوني من الحكومة في المرحلة الأولى خوفاً من سقوط الحكومة في شرك اليمين المتطرف الذي سيفقد الحكومة مقومات التأييد أو الدعم الخارجي.

### «الفصل» أساس لكل المبادرات القادمة

ويؤكد العديد من المحللين أنه بالرغم من الفشل الذريع الذي مني به شارون في الاستفتاء الداخلي لليكود على خطة الانسحاب من قطاع غزة، إلا أنه ليس بوسع (إسرائيل) بعد الآن التراجع عن الفصل الذي سيكون من الآن فصاعداً خط البداية لكل عملية ومبادرة سياسية قادمة وهو ما يلوح بالأفق في ظل الاتصالات الجديدة بين قيادات في سلطة الحكم الذاتي ومسؤولين أمريكيين.

وحتى أن إعادة رئيس الوزراء أحمد قريع إلى واجهة الحدث من قبل الأمريكيين هذه الأيام، اعتبرت في نظر هؤلاء أنها تأتي كجزء من مشروع التسوية الذي يتخطى الانسحاب الأحادي من غزة ليصب في مشروع شامل يفضي إلى حل القضية العالقة كما يسميها أصحاب المشروع بين الفلسطينيين والإسرائيليين. وأحد المشاريع المرجحة حالياً هو المشروع الذي اقترحه مستشار الأمن القومي الإسرائيلي «غورا آيلاند» الذي كان قد صاغ خطة الفصل الشاروني من طرف واحد عن قطاع غزة، والتي كانت قد اختزلت في ثمانين نقاط. ويتضمن مشروع التسوية الجديد الذي طرح من قبل آيلاند، الذي اجتمع مع العديد من الأطراف العربية قبل تبلور المشروع بشكله النهائي الآتي:

أولاً: اقتطاع ٦٠٠ كيلومتر مربع من صحراء سيناء بالتوافق مع مصر، أي العودة إلى ما كان يسمى بمشروع العريش سابقاً، ليصبح فيما بعد قطاع غزة يقارب ما مساحته ١٠٠٠ كيلومتر مربع. هذه المساحة تستخدم لفض ظاهرة الاكتظاظ السكاني من جهة، وبما يؤمن عودة مليوني لاجئ فلسطيني من جهة أخرى. بموازاة ذلك يتم ضم ١١٪ من أراضي الضفة الغربية، أي الكتل الاستيطانية الكبرى الثلاثة، بشكل نهائي إلى (إسرائيل).

هذا الأمر سيفتح المجال أمام شارون أو غيره بالانسحاب من باقي المستوطنات في كل من قطاع غزة والضفة الغربية. بالإضافة إلى استكمال عملية الوصل البري بين الضفة وغزة، من خلال الممر الذي أخذ شكله النهائي بالرغم من عملية الصراع القائمة بين الفلسطينيين والإسرائيليين منذ «كامب ديفيد ٢».

ثانياً: إقامة نفق في أضيقت نقطة في صحراء النقب بين الأردن ومصر يساوي المساحة المقطعة من سيناء، ويكون تحت سيادة مشتركة بين البلدين العربيين، الأمر الذي يسمح لكل ما يسمى بدول آسيا العربية الوصول إلى شواطئ البحر الأبيض المتوسط، والذي بدوره سيلبي الحلم الأردني التاريخي الذي يهدف إلى الوصول لشواطئ المتوسط. بالإضافة أن هذا الأمر سيلغي المقولة العربية القائلة بأن (إسرائيل) زرعت في المنطقة العربية لتكون نقطة عزل بين شقيه الآسيوي والأفريقي.

### صراع في اليمين

إن الخلاصة التي على الفلسطينيين الخروج بها من كل ما جرى ويجري الآن أن اليمين المتطرف في (إسرائيل) هو الذي يحكم، وأن الصراع الجاري حالياً في (إسرائيل) هو صراع في صفوف اليمين الإسرائيلي.

أما تعلق البعض بحيال هواء «خارطة الطريق» بحجة أن اللجنة الرباعية («الكوارتيت» سوف تعود إليها فهو أيضاً عمل يائس لا يدل إلا على العجز وانعدام الحيلة. «خارطة الطريق» لم تحتو أبداً خطوطاً عريضة لحل دائم.. وصورة الحل المطروح حددت في رسالة الضمانات الموجهة من بوش، صاحب «خارطة الطريق» ومفسرها المعتمد، إلى شارون والكل يعرف إلى أين ستقودنا تلك الضمانات. ■

٢- اللجوء إلى طرح خطته على مجلس الوزراء وفيما بعد على الكنيست بعد إجراء بعض التعديلات عليها، وخاصة فيما يتعلق بحجم الانسحاب من غزة والضفة الغربية مع الحفاظ على الترتيبات الأمنية كما هي. وهذا الخيار قد يكون المفضل لديه لأنه سوف يجنبه المزيد من الخسائر والصدمات داخل الحزب إذا ما أصر على طرح الخطة كما هي بدون تعديلات جوهرية على مجلس الوزراء، أو قد يجنبه إجراء تغيير حكومي كبير يضطر إلى التخلي عن حلفائه التقليديين من قوى اليمين المتطرف وإدخال حزب العمل، مما قد يضجر أزمة داخل حزب الليكود تضعف موقفه أكثر مما هو ضعيف. هذا الطريق سيسبب مشاكل حادة جداً داخل الليكود قد تصل إلى الانشقاق، خصوصاً أن هناك وزراء مثل عوزي لاندوا تزعموا معارضة الخطة.

٣- أما الطريق الثالث «الوسط» فهو ما يدور الحديث عنه الآن في الأوساط الصحفية ولا يتعارض مع انتهاج شارون أحد الطريقين الأوليين، وهو يدور كما تنقل وسائل الإعلام الصهيونية عن خطة معدلة لخطة الانفصال التي طرحها شارون وهو الأمر الذي أكدته أولمرت كما جاء سابقاً.

فالخيار الأقل سوءاً بالنسبة لشارون والمنسجم مع توجهاته الحقيقية الآن هو تعديلات على الخطة يرضي فيها أطراف اليمين المتطرف في حكومته ويستطيع تمريرها في الكنيست، لكن الأهم من كل هذا وذاك أنه يحافظ على التعهدات الأمريكية غير المسبوق لـ (إسرائيل)، بادعاء أنه مقدم على الانسحاب من أراض فلسطينية، وأن المنطقة لن تدخل في مرحلة جمود سياسي تخرج الإدارة الأمريكية أكثر مما هي محرجة بالواقع.

بيد أن هذا الخيار قد يحتاج إلى وقت غير قليل لتميره سواء بأجراء مشاورات مع الكتل داخل حزبه أو شركائه في الحكم، أم مع قوى المعارضة الأخرى إذا كان يريد أغلبية كبيرة في الكنيست.

### الانفصال يتحقق فعلياً

وما يؤكد استمرار شارون بتنفيذ أسس ما يفكر به أنه وعلى الرغم من نتيجة التصويت الليكودي فإن عملية الانفصال أحادي الجانب قد بدأت عملياً منذ فترة من الزمن من خلال الإغلاقات الأخيرة، وبناء الجدار وأسلاك الفصل، ومنع العمال من العودة إلى مواقع عملهم داخل (إسرائيل)، ووقف العمل بالتصاريح أو السفر عبر مطار اللد، ومنع الإسرائيليين من الوصول إلى مناطق السلطة، وغيرها من الإجراءات التي اتسمت بوضوح الهدف منها وهو تسلسل عملية الانفصال عن الجانب الفلسطيني بهدوء للوصول إلى نقطة اللاعودة. وما مثلته خطة شارون لم يكن أكثر من الإجراء الأخير في عملية الفصل دون وجود أية مخططات جديدة تلوح في الأفق القريب أو حتى البعيد للعودة عن هذه الإجراءات أو عن حدة تصاعدها.

أما على المستوى الإسرائيلي العام فإن التأقلم النفسي لفكرة الانفصال قطع مراحل متطورة دون أدنى معارضة، بل على العكس فإن عملية الفصل يتم استيعابها من قبل الجمهور الإسرائيلي كونها الإجابة الإسرائيلية لردع الإرهاب الفلسطيني غير المميز، والذي أصبح يطال الجميع دون أي استثناء، ما شكّل شبكة قبول جماهيرية واسعة على امتداد التجمعات الإسرائيلية رغم اختلاف سياساتها أو أيديولوجياتها.

والتأييد الكبير الذي يبديه الإسرائيليون عموماً من خطة شارون للفصل والانسحاب من غزة يأتي مكملاً لما بدأ يؤولي أكله من إجراءات أولية تم اعتمادها بنجاح خلال العامين الماضيين.

ومن هنا يمكن تفسير الرد الليكودي على الخطة من منطلق التشبث بالأرض الفلسطينية ومواصلة الاستيطان عليها كجزء من عقلية (أرض إسرائيل الكبرى وأحقبتهم فيها كيهود)، بينما غالبية المجتمع الإسرائيلي كما عبرت عنها الاستطلاعات الأخيرة فهي تؤيد الخطة من منطلق عملي معيشي استحقاق بعيد عن الأيديولوجية التاريخية أو الدينية، وهذا ما حاول شارون القيام به عبر خطته، وهو المزج بين توفير الاستقرار بعيد المدى لغالبية المجتمع الإسرائيلي عبر تحقيق انتصارات ميدانية سياسية ودبلوماسية دون الحاجة للدخول في حروب لتحقيقها.

لذلك فمن المرجح على المدى القريب أن نرى محاولات حثيثة لشارون للخروج من